الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

ففي أوقات الفتن والحروب ونزول الأوبئة العامة، تكثر النقولات المنسوبة للشريعة، أو الحوادث التاريخية، دون تحقيق أو تمحيص في صحتها أو دلالاتها ومآلاتها، فتحشد لها الأحاديث الضعيفة والغريبة والشاذة والمضطربة والمنكرة والموضوعة! وتكثر البدع والخرافات والمنامات والحوادث المنكرات! وربما اجتهد بعض الباحثين في بعض المسائل وعجِل في نشرها دون مراجعتها وتدقيقها! أو مدارستها وعرضها على العلماء وطلاب العلم للنظر فيها؛ لسد خللها وإصلاح عطبها؛ فزلت بزلته أقدام، ووقعت برقمه أوهام!

ونحن في هذه الأيام وقد نزل هذا الوباء الموسوم بـ(كوفيد١٩) على العالم أجمع، تكثر الرسائل المكتوبة والوسائط المرئية والمسموعة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي التقانية، فمنها ما يحمد، وفيها ما يذم! وقد اطّلعت على رسالة مختصرة كانت حول نقص الوباء أو ارتفاعه عند طلوع الثريا في النصف الثاني من شهر رمضان! وقد كُتبت في بعض الأوراق وذُيّل في آخرها ما نصه: "من كلام أخينا أبي العباس عبدالإله العباسي وفقه الله". ولا أعلم عن أصل هذا الكلام؛ هل هو مختصر لبحث من المنقول عنه، أم هو منقول برمته وقضه وقضيضه؟! ولعل كاتب الرسالة إنما قصد خيرا وبعث فألاً بقرب ارتفاع البلاء وزواله؛ ولكن لا يشفع له حسن قصده فيترك نقدها وتمحيصها؛ فقد جانب الصواب وأوقع في الوهم! فكم من قاصد حسنى وفي جوفها الهلاكُ المزْغَفُ!!

رام برًا فضرَ من غيرِ قصدٍ ... ومن البرِ ما يكونُ عقوقا

فالرسالة موهمة بتأثير الكواكب والنجوم، وهو الهلاك بعينه! فجمعت أمري للتعقيب على هذه الرسالة بيانا وتقويما، سائلا الله الإعانة والتوفيق والإخلاص.

فأقول مستعينا بالله:

استدل صاحب الرسالة المذكورة بما رواه أحمد في المسند عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : " **مَا طَلَعَ النَّجْمُ صَبَاحًا قَطُّ، وَتَقُومُ عَاهَةٌ ، إِلاَّ رُفِعَتْ عَنْهُمْ، أَوْ خَفَّتْ** ". وذكر أن النسفي والمناوي حملا هذا الحديث على العموم.

قلت: وكذلك فعل الصنعاني حيث قال في التنوير شرح الجامع الصغير ٩/ ٤١٢ :"وبقوم عاهة في أنفسهم من مرض ووباء أو في ثمارهم إلا رفعت بالكلية أو خفت إخبار بما جرت به عادته تعالى وتبشير للعباد بذلك " .

ثم قال صاحب هذه الرسالة: "وبعد تتبعي أخبار الأوبئة والطواعين في كتب التاريخ والتراجم ترجح لدي أن الحديث عام ويشمل كذلك الطواعين والأوبئة فإنها إن أصابت الناس ووافق انتشارها بينهم طلوع الثريا في العشر الأوسط من شهر مايو /أيار غالبا ما تخف وتنقص أو ترتفع بالكلية وذلك بما أجره الله من العادة، والله أعلم."، ثم ساق مجموعة من الحوادث التاريخية التي وقع فيها الطاعون ثم رفع، ويذكر أنه ارتفع عند طلوع الثريا! بعد أن قام بتحويل التواريخ الهجرية إلى التواريخ الميلادية.

فصاحب الرسالة وفقا لما تقدم يستند في ترجيحه أن الوباء سيرتفع في النصف الثاني من رمضان عند طلوع نجم الثريا على أمرين:

الأول: الحديث المتقدم؛ وذلك بحمله على عموم العاهات، فيشمل الأوبئة والطواعين والأمراض.

الثاني: الاستقراء التاريخي في أوقات ارتفاع الطواعين والأمراض؛ حيث يكون عند ارتفاع الثريا!

وللجواب عن ذلك أقول:

أما ترجيحه بحمل الحديث على عموم العاهات والطواعين والأمراض والأوبئة فمرجوح لا يستقيم لما يلي:

أولا : حديث أبي هريرة رضي الله عنه: " **مَا طَلَعَ النَّجْمُ صَبَاحًا قَطُّ، وَتَقُومُ عَاهَةٌ، إِلاَّ رُفِعَتْ عَنْهُمْ، أَوْ خَفَّتْ** " . أخرجه أحمد في المسند ١٥/ ١٦ حديث رقم ٩٠٣٩، والطبراني في الأوسط ٢/ ٧٨ حديث رقم ١٣٠٥، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٣/ ٤٢٦، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٦/ ٥٦ حديث رقم ٢٢٨٦.

هذا الحديث فيه مقال من جهة سنده! والأكثر من أهل العلم على ضعفه؛ حيث اختُلف في وقفه ورفعه، فروي موقوفا على أبي هريرة رضي الله عنه تارة، وروي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم تارة أخرى! وبعض رجاله قد تكلم فيهم بعض أهل العلم من جهة ضبطهم؛ لذلك ضعفه جمع منهم؛ كالعقيلي في الضعفاء الكبير ٣/ ٤٢٦-٤٢٧،

وقال: سمعت البخاري قال:"عِسل بن سفيان اليربوعي عن عطاء فيه نظر"، وعِسل هذا أحد رجال السند يرويه عن عطاء، وضعفه البوصيري أيضا بهذا السبب في إتحاف الخيرة ٣/ ٣٢٧، والألباني في ضعيف الجامع ١/ ٧٣٦ حديث رقم ٥٠٩٦، وقد حسنه بالمتابعة بعض المعاصرين كأحمد شاكر في تحقيق مسند أحمد ١٥/ ١٦، وشعيب الأرناؤوط في تحقيق شرح مشكل الآثار ٦/ ٥٧، ثم صححه شعيب من طريق أبي حنيفة ٦/ ٥٣.

ثانيا: لو صح الحديث فهو مخصوص بحديث ابن عمر رضي الله عنهما بعاهة الثمار خاصة والذي أخرجه الإمام أحمد في المسند ٩/ ١١٩ حديث رقم ٥١٠٥ عن عثمان بن عبدالله بن سراقة قال: سألت ابن عمر عن بيع الثمار ؟ فقال : (**نَهَى رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ الثِّمَارِ، حَتَّى تَذْهَبَ الْعَاهَةُ ، قُلْتُ : وَمَتَى ذَاكَ ؟ قَالَ : حَتَّى تَطْلُعَ الثُّرَيَّا**). ويدل على هذا التخصيص ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنه قد ورد حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- المتقدم من نفس طريق عِسل بن سفيان اليربوعي بلفظ (**إِذَا طَلَعَتِ الثُّرَيَّا صَبَاحًا رُفِعَتِ الْعَاهَةُ عَنْ أَهْلِ الْبَلَدِ**) كما أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٦/ ٥٧. والعاهة هنا مُعرّفةٌ، والمعنى: العاهة المعروفة المعهودة في الثمار.

الأمر الثاني: خصه أكثر أهل العلم بعاهة الثمار، قال الطحاوي في شرح مشكل الآثار ٦/ ٥٦ بعد أن روى الحديث بسنده:"المقصود برفع العاهة عنه، هو ثمار النخل"، وقال ابن قتيبة في كتاب الأنواء ص٣١ بعد أن ذكر الحديث: "فإنه أراد بذلك عاهة الثمار؛ لأنها تطلع بالحجاز وقد أزهى السر وأمنت عليه العاهة"، وقال القزويني في شرح مسند الشافعي ٢/ ٤١٨: "قالوا: وإنما ذكر طلوع الثريا؛ لأن الصلاح يبدو في الغالب إذا طلعت الثريا وتنقطع العاهات، ويروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (**إذا طلع النجم لم يبق في الأرض من العاهة شيء إلا رفع**)"، وقال الدميري في النجم الوهاج ٤/ ٢٠٩: "وفي الحديث: (**إذا طلع النجم لم يبق من العاهة شيء**) أراد: عاهات الثمار؛ لأنها تطلع بالحجاز إذا بدا صلاح البسر"، وقال ابن القيم في زاد المعاد ٤/ ٣٩ بعد أن ذكر الحديث: "وفي الحديث قول ثالث وهو أولى الأقوال: أن المراد بالنجم الثريا، وبالعاهة الآفة التي تلحق الثمار والزرع في فصل الشتاء وصدر من فصل الربيع فيحصل في الوقت

المذكور". والنقل عن أهل العلم في تخصيص العاهة بعاهة الثمار كثير جدا يعسر حصره ونقله، وفيما ذكر كفاية بيان.

الأمر الثالث: أن العاهة إذا أطلقت يقصد بها الآفة التي تصيب الثمار خاصة فتفسدها قال ابن منظور في لسان العرب ١٣/ ٥٢٠:" قال اللَّيْثُ: العاهةُ الْبَلاَيَا والآفاتُ أَي فَسَادٌ يُصِيبُ الزَّرْعَ وَنَحْوَهُ مِنْ حَرٍّ أَو عَطَش، وَقَالَ: أَعاهَ الزرعُ إِذَا أَصابته آفَةٌ مِنَ اليَرَقانِ وَنَحْوِهِ فأَفسدَهُ. وأَعاهَ القومُ إِذَا أَصاب زَرْعَهُمْ خَاصَّةً عاهةٌ".

وأما الاستقراء التاريخي في أوقات ارتفاع الطواعين والأمراض؛ حيث يكون عند ارتفاع الثريا، فمردود بما يلي:

أولاً: رجح صاحب الرسالة أن الحديث عام، فالعاهات لا تختص ببدو صلاح الثمار؛ وإنما تشمل كذلك الطواعين والأوبئة. وسبب ترجيحه -كما يقول- هو تتبع أخبار الأوبئة والطواعين في كتب التاريخ والتراجم. وهذا غريب! حيث لا يصح تعميم النصوص الشرعية أو تخصيصها بناء على الوقائع التاريخية، ولا يعرف هذا عن أحد من أهل العلم، وليست الروايات التاريخية من طرق الترجيح عند الأصوليين!

ثانيا: استدلاله بأن ارتفاع الطواعين كان عند طلوع الثريا ليس دقيقا؛ لأنه لا يمكن ضبط ذلك ضبطا تاما، فحينما يذكر المؤرخ أن الوباء خف أو ارتفع، فإنه لا يحدد وقتا محددا بدقة تامة! فقد يقول: وقد خف الوباء في شهر كذا، وربما قال: في أوائل الشهر أو أواخره؛ فتارة يكون قبل طلوع الثريا، وربما كان بعد طلوعها بمدة. وأحيانا يذكر أنه يزيد في بلد ويخف في أخر، فالمؤرخ يذكر ما رآه أو نقل له، ومعلوم أنه في ذلك الوقت يعسر ضبط ارتفاع الوباء أو خفته أو عدد الموتى! وانظر في هذا النص وتأمّل السرد التاريخي في ثناياه لتدرك ذلك! قال ابن حجر -رحمه الله تعالى- في كتاب إنباء الغمر بأبناء العمر ٣/ ٨٧:"وفي ثاني عشر المحرم نقلت الشمس إلى برج الحمل فدخل فصل الربيع، وابتدأ الطاعون بالقاهرة فبلغ في نصف صفر كل يوم مائة نفس، ثم زاد في آخره مائتين، وكثر ذلك حتى كان يموت في الدار الواحدة أكثر من فيها، وكثر الوباء بالصعيد والوجه البحري حتى قيل إن أكثرهم هلكوا، وفي طرابلس حتى قيل إنه مات بها في عشرة أيام عشرة آلاف نفس، وبلغ عدد الأموات بالقاهرة في ربيع الأول ثلاثمائة في اليوم، ثم في نصفه بلغوا

خمسمائة، وفي التحقيق بلغوا الألف لأن الذين يضبطون إنما هم من يرد الديوان وأما من لا يرده فكثير جداً، وماتت ابنتاي غالية وفاطمة، وبعض العيال، وكان كل من طعن مات عن قرب إلا النادر، وإن أهل فاس أحصوا من مات منهم في شهر واحد فكان ستة وثلاثين ألفا، حتى كادت البلدان تخلو من أهلها وتصدى الأستادار لمواريث الأموات، ثم ابتدأ الموت في النقص من نصف ربيع الأول إلى أن انتهى في أول ربيع الآخر إلى مائة وعشرين، ثم بلغ في تاسعه إلى ثلاثة وعشرين، وتزايد الموت بدمشق وكان ابتداؤه عندهم في ربيع الأول فبلغت عدة من يموت في ربيع الآخر في اليوم ستين نفساً، ثم بلغ مائتين في أواخره ثم كثر في جمادى الآخرة بها، وكذلك وقع في القدس وصفد وغيرها، ثم ارتفع في آخر ربيع الآخر فنزل في الثالث والعشرين منه إلى أحد عشر نفسا.".

ثالثا: يصعب ضبط طلوع الثريا؛ إذ بين طلوعها وغروبها السنوي وقت طويل جدا يحتمل الطلوع في جميع أجزائه كوقت الصلاة الموسع. فمتى طلوع الثريا المقصود عند كاتب الرسالة؟ وعند أي درجة في البرج يكون؟ وكم سيمضي من وقت طلوعها؟ ومما يوضح ذلك اختلاف طلوع الثريا عند المتقدمين بنحو عشرة أيام بين أهل المشرق والمغرب، وكذلك في درجة سقوط الشمس في برج الجوزاء عند طلوع الثريا! قال الحطاب في مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ٢/ ٢٧٠ :"تنبيهات: الأول: طلوع الثريا بالفجر. قال في التنبيهات: في منتصف شهر أيار وهو مايه، وقيل لاثنتي عشرة ليلة، وهذا على حساب المتقدمين. وطلوعها ليوم ثاني عشرين من أيار ومايه وهو سابع عشرين بشنس، والشمس في عاشر درجة من برج الجوزاء، وهو أول فصل الصيف على حساب المغاربة والفلاحين، وعلى حساب غيرهم أواخر الربيع.".

فإن قيل: صاحب الرسالة لم يقصد طلوع الثريا بدقة؛ وإنما أراد بداية طلوعها وقصده أول الوقت أيام شروقها.

فالجواب باختصار: لماذا إذن ربط ارتفاع الوباء بطلوع الثريا، ولم يفعل كالعلماء السابقين باحتمال بداية ارتفاع الأوبئة والأمراض في أول الصيف، كما فعل ابن القيم وابن حجر -رحمهما الله- دون تعليق الأمر على طلوع الثريا!؟ أليس في صنيع العلماء مندوحة عن فتح باب التعلق بالكواكب والنجوم، والحديث الذي تعلق به على ضعفه لا يدل على ما توهم!؟.

رابعا: الاستقراء التاريخي عند الكاتب استقراء ناقص! وقد اقتصر فيه على طواعين القرن التاسع؛ عدا حادثتين أو ثلاث في القرون المتأخرة؛ وبعضا منها في هذا الزمن، مع أن أكثر الطواعين وقعت في عهد بني أمية! قال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ١/ ١٢٢ :" نقل بعض المؤرخين أن الطواعين في زمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشام؛ حتى كان خلفاء بني أمية إذا جاء زمن الطاعون يخرجون إلى الصحراء؛ ومن ثم اتخذ هشام بن عبد الملك الرصافة منزلاً، وكانت الرصافة بلدة قديمة للروم.".

خامسا: ما ذكره من الحوادث التاريخية وارتفاع الطاعون لم يكن معلقا على طلوع الثريا؛ وإنما الارتفاع يكون غالبا عند اشتداد الحر أول الصيف، واشتداد الحر قد يكون قبل طلوع الثريا وقد يكون بعدها؛ وطلوعها إنما هو علامة على بداية القيظ وهو بداية اشتداد الحر، فطلوعها كسائر طلوع الكواكب والنجوم التي هي علامات ودلالات على بداية الأوقات أو انتهائها لا أكثر، وقد خص بعض أهل العلم بدو صلاح الثمار عند طلوع الثريا في الحجاز خاصة لشدة حره وتقدمه عن سائر البلاد، قال المديني في المجموع المغيث ٣/ ٢٦٥ : "قال الحربي: وإنما أراد أرض الحجاز؛ لأن في أيار يقع الحصاد بها، فأما في غير الحجاز فقد تقع العاهة بعد طلوع الثريا."، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ١/ ٨٩: "ولأحمد والبيهقي من حديث عثمان بن عبد الله بن سراقة عن ابن عمر، قال: **نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى تؤمن عليها العاهة**، قيل أو قلت: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا طلعت الثريا. وطلوعها صباحا يقع في أول فصل الصيف، وذلك عند اشتداد الحر في بلاد الحجاز وابتداء نضج الثمار، والمعتبر في الحقيقة النضج، وطلوع النجم علامة له."، فطلوعها يوافق شدة الحر المنضجة للثمار فكانت علامة ظاهرة لبدو الصلاح. قال الماوردي في الحاوي الكبير ٥/ ١٩٤:"ولأن البلد الواحد قد يتعجل صلاح ثماره في عام؛ لاشتداد الحر ودوامه، ويتأخر في عام آخر لاشتداد البرد ودوامه، وطلوع الثريا لا يختلف بالحر والبرد"، وقال النووي -رحمه الله- في المجموع ١١/ ٤٤١: "قال الأصحاب ولا يصح ضبطه بطلوع الثريا؛ لان من البلاد ما يتأخر فيه صلاح الثمر أو يتقدم؛ بل البلد الواحد قد يتعجل في عام لاشتداد الحر ودوامه ويتأخر في آخر لاشتداد البرد ودوامه" .

أقول: وهكذا ارتفاع الأوبئة والطواعين لا يصح ضبطه بطلوع الثريا كعلامة له؛ وإنما وقوع الأوبئة غالبا في آواخر فصل الربيع وتشتد خلال فصل الخريف، وارتفاعها غالبا في أول فصل الصيف، وهذا ما ذكره ابن القيم وابن حجر رحمهما الله دون ذكر

لطلوع الثريا أو الإشارة إليه!. قال ابن القيم في زاد المعاد ٤/ ٣٨:" قال أبقراط: إن في الخريف أشد ما تكون من الأمراض وأقتل، وأما الربيع فأصح الأوقات كلها وأقلها موتا، وقد جرت عادة الصيادلة ومجهزي الموتى أنهم يستدينون ويتسلفون في الربيع والصيف على فصل الخريف، فهو ربيعهم، وهم أشوق شيء إليه، وأفرح بقدومه !!". وذكر ابن حجر في بذل الماعون ص٣٦٩ بعد أن ساق تسلسلا تاريخيا لوقائع الطواعين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى زمنه، أن الطواعين تقع في فصل الربيع وترتفع في أول فصل الصيف، ولم يعلق ذلك على طلوع الثريا!!.

سادسا: من المحاذير الشرعية في تحديد ارتفاع المرض عند طلوع الثريا أن الوباء قد لا يرتفع؛ بل قد يزداد مما يحمل ضعاف الإيمان على الشك في الشريعة أو ظن التناقض؛ لأن طلوع الثريا أيضا تزداد فيه الآفات؛ وإن كانت أقل من سقوطها، قال أبو محمد بن قتيبة -رحمه الله- عن طلوع الثريا وغروبها في كتاب الأنواء ص٣١ :"ما طلعت ولا نأت إلا بعاهة من الناس والإبل، وغربها أعيهُ من شرقها"، وقال الخطيب البغدادي في كتاب القول في علم النجوم ص١٤٦ عندما ذكر أسجاع العرب في طلوع النجوم:"وإذا طلع النجم -يعني الثريا- خيف السقم، وتُرى عاناتُ الوحش في كدم"، وقال ابن القيم في زاد المعاد ٤/ ٣٨: "وأما الثريا، فالأمراض تكثر وقت طلوعها مع الفجر وسقوطها."، وقال الصنعاني في التنوير شرح الجامع الصغير ٢ /١٣٢ :"وبين طلوعها وغروبها آفات وعاهات وأمراض في الناس والثمار والإبل".

وهذا ما حصل في بعض سنوات وقوع الطاعون! ومن ذلك ما ذكره زين الدين الملطي في نيل الأمل في ذيل الدول ٥ /١٨٤ في حوادث سنة ثمان وأربعين وثمانمائة حيث قال: "وفي محرّم فشا الطاعون بالقاهرة، وأخذ في البداية حتى ضبطت الأموات بديوان الحشر فكانوا زيادة على المائة وعشرين في اليوم، خلاف من لم يرد اسمه الديوان، وكانوا أضعاف ذلك، فلعلّ العدّة كانت زيادة على الثلاثمائة، ثم بلغ الألف بعد ذلك في أواخر هذا الشهر". وأواخر شهر محرم من ذلك العام هو وقت طلوع الثريا أو قريبا منه، وقد ازداد الطاعون بعد طلوعها فتأمل!

سابعا: ومن أعظم المحاذير الشرعية العقدية تعليق ارتفاع الطاعون أو الأوبئة على طلوع الثريا فربما أوهم بعض العامة من الناس أن للثريا تأثيرا أو أنها سبب في رفع البلاء، وهو الشرك والكفر المنهي عنه في حديث عن زيد بن خالدٍ الجهني قال: صلى بنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**)، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (**قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأما مَن قال: مُطِرْنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنَوْء كذا وكذا، فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب**) متفق عليه، والكاتب -عفا الله عنه- لم ينبه لهذا، وهو يعلم أنها موهمة للعامة والجهلة من الناس، وكان من واجبه سد ذريعة هذا التوهم صيانة لجانب التوحيد، وصرفهم للتعلق بالخالق جل شأنه، والتوكل عليه، وتفويض الأمر إليه وحده؛ خاصة في هذا الوقت الذي يتعلق الناس فيه بالواهيات والأوهام، ويشتغل بعض الجهلة منهم بكشف الطالع والمستقبل بالكواكب والنجوم والخرافات! والله المستعان.

هذا ما فتح الله به من البيان والنصيحة، والله أسأل أن يرزقنا علما نافعا وعملا صالحا خالصا لوجهه الكريم، وأن يرفع ويدفع ما حل بنا من الوباء والبلاء، وأن يبلغنا شهر رمضان المبارك وقد زالت الغمة عن الأمة برحمته وعفوه، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. محمد بن عبدالعزيز أباالخيل
الحدود الشمالية -عرعر
الخميس ٢٣ شعبان ١٤٤١هـ